تفسير

سورة العلق[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

١. ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ . أكثر المفسرين وأهل التأويل على أن هذه السورة أول ما نزل من القرآن ، (وهي أول شيء نزل[٢] ؛

---

(١) مكية بالإجماع ، حكى ذلك ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢٧٨ ، وانظر : الكشف والبيان ١٣/ ١٢٠أ ، والكشاف ٤/ ٢٢٣ .

(٢) هذا القول مروي عن عائشة ، وعبدالله بن عمر ، وأبي رجاء العطاردي . قال الهيثمي عن هذه الرواية في مجمع الزوائد ٧/ ١٣٩ : «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» ، ومجاهد ، وأبي موسى الأشعري . انظر : جامع البيان ٣٠/ ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، وفضائل القرآن لأبي عبيد ٢/ ١٩٨ ، ١٩٩ ، والدر المنثور ٨/ ٥٦٠ . ونسبه الثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ١٢٠أ إلى أكثر المفسرين ، وكذلك صاحب معالم التنزيل ٤/ ٥٠٦ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٩٢ ، وابن حجر في فتح الباري ٨/ ٧١٤ . وقال الزمخشري ، والنسفي ، وأكثر المفسرين بأن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم . انظر : الكشاف ٤/ ٢٢٣ ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ٣/ ٧٠٨ ، وقد قال بهذا القول ابن عباس ، ونسبه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١١٧ إلى أبي موسى ، وعائشة رضي الله عنهما ، وغيرهما . انظر : الدر المنثور ٨/ ٥٦٠ ، والمستدرك للحاكم ٢/ ٥٢٩ وصحَّحه ، ونفى ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٧١٤ أن يكون قال به الأكثر ، بل قرر أن عدداً أقل من القليل بالنسبة إلى القول الأول القائل : «إن (اقرأ) أول ما نزل» . ويوجد قول ثالث : مروي عن جابر أن أول ما نزل من القرآن : يا أيها المدثر ، وتوجد أقوال أخرى أشهرها ما ذكره الواحدي عن أكثر المفسرين . قال القاضي أبو بكر في الانتصار : «وأثبت =

أول)[١] يوم نزل جبريل على رسول الله ﷺ، وهو قائم في حِراء[٢] فعلَّمه خمس آيات من هذه السورة[٣].

= الأقاويل: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، ويليه في القوة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ وطرق الجمع بين الأقاويل أن أول ما نزل من الآيات: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، وأول ما نزل من أوامر التبليغ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾، وأول ما نزل من السور سورة الفاتحة». انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ٢٠٧، ٢٠٨.

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٥٤، ٢٥٥: «فسورة ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ هي أول ما نزل من القرآن، ولهذا افتُتحت بالأمر بالقراءة، وخُتمت بالأمر بالسجود، ووُسِّطت بالصلاة التي أفضلها أقوالها، وأدلها بعد التحريم هو القراءة». ثم عزا القول: «إنها من أول ما نزل» إلى جماهير العلماء.

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٢) حِراء: جبل صخري كثير الشعاب، صعب المرتقى، يقع في الشمال الشرقي لمكة، ويجاوره جبل ثبير، واشتُهر جبل حِراء بالغار الذي يُعرف باسمه، ويطلق عليه اسم جبل النور؛ لأنه مهبط الوحي الأول على الرسول ﷺ. انظر: القاموس الإسلامي ٢/ ٥٩، ومعجم ما استعجم ٢/ ٤٣٢، ومعجم البلدان ٢/ ٢٣٣.

(٣) وردت أحاديث عدَّة من طرق مختلفة بهذا المعنى؛ منها ما هو موقوف، ومنها ما هو مرفوع، وأصحها ما جاء عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان أوَّلَ ما بُدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يُرى رُؤيا إلَّا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، فكان يلحق بغار حِراء، فيتحنَّث فيه». قال: «والتحنُّث: التعبُّد الليالي ذوات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود بمثلها، حتى فَجَأهُ الحق وهو في غار حِراء، فجاءه المَلك فقال: اقرأ، فقال رسول الله ﷺ: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾» الحديث.

أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب التفسير، باب (٩٦) ٣/ ٣٢٧ ح ٤٩٥٣، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ٢/ ٥٥٦ ح ٢٥٢، وأحمد في المسند ٦/ ٢٣٢، ٢٣٣.

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ مجازه : اسم ربك)[١] ، أن الباء زائدة[٢] معناه : اقرأ اسم ربك ، كما قال (الأخطل)[٣] :

هُنَّ[٤] الحرائِرُ لا ربَّاتُ أحْمِرةٍ سُودُ المحاجِرِ لا يَقْرَأْنَ بالسُّوَرِ[٥]

يعني : لا يقرأن السور ، والباء زائدة .

ومعنى ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ اذكر اسمه ، كأنه أمر أن يبدأ[٦] القراءة باسم (ربك ، فالجالب)[٧] للباء معنى الابتداء ، وفي هذا دلالة على أنه تجب قراءة التسمية في ابتداء كل سورة ، كما[٨] أنزل الله تعالى ، وأمر به في هذه الآية ردّاً على مَن لا يرى ذلك ولا يبتدئ بها[٩] .

---

(١) ما بين القوسين من قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٤ .

(٢) من أوجه مواضع زيادة الباء ما ذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ٣٢٣ : «أن تكون للحال ؛ أي اقرأ مُفتتحاً باسم ربك ؛ قل : بسم الله ، ثم اقرأ» ، وأن تكون للاستعانة ، والمفعول محذوف ، تقديره : اقرأ ما يوحي إليك مستعيناً باسم ربك ، وأن تكون بمعنى (على) ؛ أي اقرأ على اسم ربك . انظر : الدر المصون ٦/ ٥٤٥ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) في (أ) : (من) .

(٥) ورد البيت منسوباً إلى الراعي النميري ، وهو في ديوانه ١٠١ ، والدر المصون ٦/ ٥٤٥ ، وحاشية المقتضب ٣/ ٤٤ ، وذكر محقق المقتضب أن للقتال الكلابي مثله .
معنى الحرائر : جمع حرة ، وهي الكريمة الأصيلة . والربات : جمع ربة ، وهي الصاحبة . والأحمرة : جمع حمار ، وخص الحمير ؛ لأنها رذال المال وشره . وسود المحاجر : أراد بها الإماء السود . ولا يقرأن بالسور : جاهلات لا يقرأن القرآن . انظر : ديوان الراعي ١٠١ .

(٦) في (ع) : (يبتدئ) .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٨) في (ع) : (عما) .

(٩) هذه المسألة فيها خلاف : هل البسملة آية من سورة الفاتحة وحدها ، أو من كل سورة ، أو ليست آية من أم الكتاب ، ولا من أي سورة ؟ . فمنهم مَن رأى أنها آية من أم الكتاب ، فأوجب قراءتها بوجوب قراءة أم الكتاب عنده في الصلاة . ومَن رأى أنها آية من كل سورة وجب عنده أن يقرأها مع السورة . فالحنفية ترى أن البسملة ليست آية من الفاتحة ، ولا من غيرها من السور إلَّا جزءاً من آية =

وقولـه[١] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ . قال الكلبي : «يعني الخلائـق»[٢] . ثم فسَّر ذلك فقال :

٢. ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ ؛ يعني ابن آدم .

﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ جمـع علقة ، وإنما ذكـر العلق بلفظ الجمع ، لأنه أراد بالإنسـان الجمع ، فذهب بالعلق إلى الجمع لمشاكلة رؤوس الآيات ، قاله[٣] الفرَّاء[٤] .

٣. قوله : ﴿ٱقْرَأْ﴾ تقرير للتأكد . ثم استأنف فقال : (قوله تعالى)[٥] ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ . قال الكلبي : يعني (الحكيم)[٦] الحليم عن جهل العباد ، لا يعجل عليهم بالعقوبة[٧] .

= سورة النمل ، وهو مروي عن أحمد ، وهي المنصورة عند أصحابه ، ومالك ، والأوزاعي ، وعبدالله بن معبـد الرماني . ورواية عن أحمد أنها آية من الفاتحة ، ومن كل سـورة ذكـرت في فاتحتها ، وهو أيضاً قـول عطاء ، والزهري ، وعبدالله بن المبارك ، وكذلك قال الشـافعي هي آيـة من الفاتحة ، ومن كل سـورة غير براءة . انظر تفصيل المسـألة بأدلتها في : حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء للشـاشي القفال ٢/ ١٠٢ ، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشـد القرطبي ١/ ١٢٥ ، والمغني لابن قدامة ١/ ٤٨٠ ، والمجموع شرح المهذب للنووي ٣/ ٣٣٣ ، ونيل الأوطار للشـوكاني ٢/ ٢١٨ ، وحاشية الروض الربع شرح زاد المستقنع لعبدالرحمن بن محمد النجدي ٢/ ٢٤ ، ٢٥ ، والفقه الإسلامي وأدلته لوهبة الزحيلي ١/ ٦٤٦ ، ٦٥٠-٦٥٤ .

(١) في (أ) : (قوله) .

(٢) معالم التنزيل ٤/ ٥٠٧ ، وفتح القدير ٥/ ٤٦٨ .

(٣) في (أ) : (قال) .

(٤) ورد في معاني القرآن ٣/ ٢٧٨ بتصرف .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٧) ورد قوله في الكشـف والبيـان ١٣/ ١٢١أ-ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٧ ، وزاد المسـير ٨/ ٢٧٩ . والقول : إن معنى الآية أي الكريم هو الأشبه بالمعنى ، لأنه لمّا ذكر ما تقدَّم من نعمه دل به على كرمه . انظر : الجامع لأحكام القـرآن ٢٠/ ١١٩ ، ١٢٠ ، وفتح القدير ٥/ ٤٦٨ . وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٩٣ : «سمى ووصف نفسه بالكرم ، وبأنه الإكرام بعد إخباره أنه خلق ليتبين أنه ينعم =

٤. قولـــه : ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ . قال الكلبي[١] ، ومقاتل[٢] : «علَّم الكتاب بالقلم» .

(قال أبو إسحاق : «أي علَّم الإنسان الكتابة بالقلم»[٣]) .[٤]

وقال أهل المعاني : «قد نوَّه الله -تعالى- بالقلم[٥] إذ ذكره في كتابه معتداً به في نعمه على خلقه ، وإنه لعظيم الشأن بما فيه من الانتفاع»[٦] .

٥. وقـــال صاحب النظـــم : «مفعول قولـــه : ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ محذوف ، فلمَّا ذكـــر قولـــه : ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ انتظم بقولـــه : ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ على تقدير الذي علَّم الإنســـان بالقلم ما لم يعلم ؛ إلَّا أنه كرَّر ذكر ﴿عَلَّمَ﴾ توكيداً»[٧] . وهـــذا معنى قول الكلبي ؛ (لأنه قال)[٨] : «﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ من الكتاب بالقلم» .

= على المخلوقين ، ويوصلهم إلى الغايات المحمودة . ولفظ الكرم لفظ جامع للمحاسن والمحامد لا يراد به مجرد الإعطاء ؛ بل الإعطاء من تمام معناه ، فإن الإحسان إلى الغير تمام المحاسن ، والكرم كثرة الخير ويسرته» ، وانظر : شرح أسماء الله الحسنى للقحطاني ١٥٢ .

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٤٥ بتصرف .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) في (ع) : (القلم) .

(٦) لم أعثر على مصدر لقولهم ، وبمعناه قال قتادة : «القلم نعمة من الله عظيمة ، لولا القلم لم يقم دين ، ولم يصلح عيش» . انظر : الكشف والبيان ١٣/ ١٢١ب ، وزاد المسير ٨/ ٢٧٩ .

(٧) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

ومن المفسرين مَن يجعل هـذه الآية منقطعة عن الأُولى فيقول : «معنى ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ علَّم آدم الأسماء كلها»[(١)] .

ومنهم مَن يقـول : «علَّم محمداً ما لم يعلم من الأحكام والشريعة ، وقصص النبيـين كـما قـال : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء :١١٣]»[(٢)] ، وهذا قول ابن عباس[(٣)] ، وهو ضعيف ؛ لأن هذا من أول ما نزل ، ولم يكن قد علم النبي ﷺ إذ ذاك كثير شيء .

٦. قوله (تعالى)[(٤)] : ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ .

قالوا : «نزلت هذه الآية وما بعدها إلى آخر السورة في أبي جهل»[(٥)] .

ومعنـى : (كلَّا) قال عطاء : «لا يصدق أبو جهل أن الله -تعالى- علَّم محمداً هذا الذي جاء به من النبوة»[(٦)] .

وقال مقاتل : «كلَّا لا يعلم الإنسان إن الله علَّمه ما لم (يكن)[(٧)] يعلم»[(٨)] .

---

(١) قـال بذلك كعب الأحبـار كما في النكت والعيـون ٦/ ٣٠٥ ، وبه قال السـمرقندي في بحر العلوم ٣/ ٤٩٤ ، والثعلبي في الكشـف والبيان ١٣/ ١٢١ب . انظر : معالم التنزيل ٤/ ٥٠٧ ، وزاد المسـير ٨/ ٢٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١١٢ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٩٣ .

(٢) في (أ) : (من الأحكام الشرعية) ، وهو مكرر ليس في موضعه ، ولذلك أسقطته .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله ، وانظر : معالم التنزيل ٤/ ٥٠٧ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) نسـبه الفخر في التفسـير الكبير ٣٢/ ١٧ إلى أكثر المفسرين ، ورواه القرطبي عن ابن عباس في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٢٣ ، وانظر : المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٢ ، وزاد المسير ٨/ ٢٧٩ .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) تفسير مقاتل ٢٤٥أ ، وزاد المسير ٨/ ٢٧٩ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ١٨ .

وقال صاحب النظم : «زعم بعضهم أن (كلَّا) هاهنا بمعنى حقّاً ؛ لأنه ليس قبلـــه ولا بعده شيء تكون (كلَّا) رداً له ، وهـــذا كما قالوه في قوله : ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾ [المدثر :٣٢] ؛ فإنهم زعموا أنه بمعنى : إي والقمر ، كما يقال : إي والله»[(١)] .

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعنـــي أبا جهل . ﴿لَيَطْغَىٰٓ﴾ . قال مقاتـــل :«كلا ، إذا أصاب مالاً زاد في ثيابه ، ومركبه ، وطعامه ، وشرابه ، فذلك طغيانه»[(٢)] ، ونحو هذا قال الكلبي : «يرتفع عن منزلة إلى منزلة في اللباس والطعام»[(٣)] .

٧. قوله : ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ . قال الأخفش : «معناه لأن رآه ، فحذف اللام ، كما يقال : إنكم لتطغون إن رأيتكم استغنيتم»[(٤)] ، ومثله كثير[(٥)] .

قال الفرَّاء : «ولم يقل رأى الإنسان ، فقال قتل نفسه ؛ لأن (رأى) من الأفعال التي تريد اسماً وخبراً ؛ نحو الظن ، والحسبان ، وبابهما ، ولا يقتصر في هذا الباب عـــلى مفعول واحـــد ، والعرب تطرح النفس مـــن هذا الجنس فتقـــول : رأيتني وظننتني ، وحســـبتني ، ومتى تراك خارجاً ، ومتى تظنك خارجاً ، وقوله : ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[(٦)] من ذلك»[(٧)] .

قال مقاتل : «إن رأى نفسه غنياً ، وكان موسراً فطغى فخوَّفه الله بالرجعة»[(٨)] .

---

(١) التفسير الكبير ٣٢/ ١٨ ، وفتح القدير ٥/ ٤٦٨ .

(٢) ورد في تفسير مقاتل ٢٤٥أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٧ ، وورد غير منسوب في زاد المسير ٨/ ٢٧٩ .

(٣) ورد في الكشف والبيان ١٣/ ١٢١ب ، وبمعناه في النكت العيون ٦/ ٣٠٦ ، وبمثل قوله قال السُّدِّي في النكت .

(٤) التفسير الكبير ٣٢/ ١٩ ، وانظر : التحرير والتنوير ٣/ ٤٤٤ .

(٥) نحو ما جـــاء في قولـــه تعـــالى : ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء :٦٢] ، وقوله : ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام :٤٠] .

(٦) ورد في معاني القرآن ٣/ ٢٧٨ بتصرف .

(٧) وقوله مكرر في (أ) ، وليس هذا موضعه .

(٨) الوسيط ٤/ ٥٢٩ .

٨. فقال : ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ . قال أبو عبيدة : «المرجع»[(١)] .

وقال الأخفش : «الرجوع»[(٢)] .

وكلاهما[(٣)] مصادر ، يقال : رجع إليه يرجع رجوعاً ومرجعاً . ورُجْعَى : مصدر على فُعْلَى[(٤)] .

٩-١٠ . (قوله تعالى)[(٥)] : ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ ؛ يعني : أبا جهل[(٦)] ، قال أبو هريرة : «قال أبو جهل : لأن رأيت محمداً ﷺ يصلي لأطأن على رقبته ، فأنزل الله هذه الآيات»[(٧)] .

---

(١) ورد في مجاز القرآن ٢/ ٢٠٤ ، وإليه ذهب ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٣٣ .

(٢) لم أعثر أعثر على مصدر لقوله .

(٣) في (ع) : (ثلاثيها) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (رجع) ٨/ ٣٦٥ ، ولسان العرب (رجع) ٨/ ١١٤ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٢ : «ولم يختلف أحد من المفسرين في أن الناهي أبو جهل ، وأن العبد المصلي محمد ﷺ» ، وقال ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٧٢٤ : «وإنما شدد الأمر في حق أبي جهل دون غيره مما بلغ أذاه ما بلغه أبو جهل ، وذلك لأن أبا جهل زاد في التهديد وبدعوى أهل طاعته ، وبإرادة وطء العنق الشريف ، وفي ذلك من المبالغة ما اقتضى تعجيل العقوبة لو فعل ذلك» .

(٧) أخرجه مسلم عن أبي هريرة في صحيحه في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب (٦) ٤/ ٢١٥٤ ح ٣٨ ، قال : «قال أبو جهل : هل يُعفِّرُ محمد وجهه بين أظهركم ؟ قال : فقيل : نعم ، فقال : واللات والعزى ، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ، ولأعفِّرن وجهه في التراب ، قال : فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ، زعم ليطأ على رقبته ، قال : فما فَجِئَهم منه إلَّا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقي بيديه ، قال : فقيل له : ما لك ؟ فقال : إن بيني وبينه لخندقاً من نار ، وهولاً ، وأجنحة بيديه ، فقال رسول الله ﷺ : «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عُضواً عُضواً» . قال : فأنزل الله ـعز وجلـ لا تدري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه : ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾» ، وذكر تمام السورة . وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٣٧٠ ، والنسائي في تفسيره في كتاب الملائكة ، باب سورة اقرأ باسم ربك ٢/ ٥٣٤ ، ٥٣٥ ح ٧٠٣ ، ونسبه المزي في تحفة الأشراف إلى النسائي الكبرى ١٠/ ٩٢ ح ١٣٤٣٦ ، وكلاهما بهذا الإسناد . =

ومعنى : أرأيت هاهنا تعجيب للمخاطب ، وكرَّر هذه اللفظة للتأكيد في التعجيب .

١١ . وهو قوله تعالى : ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ ؛ يعني : العبد المسمى ، وهو محمد ﷺ[(١)] .

١٢ . ﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ . قال عطاء : «مخافة الله ، والتناهي عن معاصي الله»[(٢)] .

وقال مقاتل : «يعني بالإخلاص والتوحيد»[(٣)] . ويكون المعنى على هذا باتقاء الشرك .

١٣ . ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾ أبو جهل[(٤)] ، ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ عن الإسلام .

= انظر : جامع البيان ٣٠/ ٢٥٣ ، والنكت والعيون ٦/ ٣٠٦ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٨ ، وزاد المسير ٨/ ٢٧٩ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٢٠ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٩٤ ، والصحيح المسند ٢٣٥ ، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ٢٣٢ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٢٢أ ، والدر المنثور ٨/ ٥٦٥ منسوباً إلى ابن المنذر ، وابن مردويه ، وأبو نعيم ، والبيهقي ، ودلائل النبوة ١/ ١٨٩ . وممن قال إنها نزلت في أبي جهل : مجاهد ، وقتادة ، وابن عباس . وردفي جامع البيان ٣٠/ ٢٥٤ ، ونسبه الوادعي صاحب الصحيح المسند : ٢٣٦ إلى ابن عباس بسند صحيح بنحوه ، وفيه أنزل الله تعالى : ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ إلى قوله : ﴿كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ . قال ابن عاشور في التحرير والتنوير ٥/ ٤٤٦ ، ٤٤٧ بعدما ذكر رواية أبي هريرة في نزول ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ : «ورواه ابن عباس في نزول ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ لأن كليهما في أبي جهل» . ووجه الجمع بين الروايتين أن النازل في أبي جهل بعضه مقصود ، وهو ما أوله : ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ . . . وبعضه تمهيد وتوطئة ، وهو ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ إلى (الرجعى) .

(١) قال بذلك الطبري في جامع البيان ٣٠/ ٢٥٤ ، والماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٠٧ .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ٢٤٥ب ، وورد نحوه من غير نسبة في معالم التنزيل ٤/ ٥٠٨ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٩٤ .

(٤) قاله قتادة في جامع البيان ٣٠/ ٢٥٥ .

ونظم هذه الآية على تقدير : أريت الذي ينهى عبداً إذا صلى ، وهو على الهدى ، أمر بالتقوى ، والناهي مكذب متولٍّ عن الإيمان ، أي فما أعجب من ذا ، ولكن لمّا كرَّر (أرأيت) بنى على ما بعده على الاتصال به ، وهذا معنى قول الفرَّاء[١] ، والأخفش[٢] .

١٤. ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ﴾ الناهي : أبا جهل . ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ ؛ أي إنه يرى ذلك فيجازيه[٣] .

١٥. ثم قال : ﴿كَلَّا﴾ . قال مقاتل :«كي لا يعلم ذلك»[٤] . ثم خوَّفه بقوله : ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ ؛ (أي)[٥] عن تكذيب محمد وشتمه وإيذائه .

﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ . قال أبو عبيدة : «لنأخذن بالناصية ، يقال :سفعت بيده ؛ أي أخذت[٦] بيده ، والرجل يُسْفَع برجل طَروقَتِه»[٧] .

وقال المُبرِّد : «السفع الجذب بالإعنات ، يقال :سفعه إذا اقتلعه من موضعه بجذب بعضه»[٨] .

---

(١) معاني القرآن ٣/ ٢٧٨ .
(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .
(٣) هذا جواب لجميع ما تقدَّم من قوله : ﴿أَرَءَيْتَ﴾ ، قاله السمرقندي في بحر العلوم ٣/ ٤٩٤ .
(٤) تفسير مقاتل ٢٤٥ب ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٢٣ .
(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
(٦) في (أ) : (وأخذت بدلاً) ؛ أي أخذت .
(٧) مجاز القرآن ٢/ ٣٠٤ .
(٨) معالم التنزيل ٤/ ٥٠٨ .

وقال الفرَّاء : «[لَنَهِصرنَّها[١]][٢] ، ولنأخذن بها»[٣] .

وقال الزَّجَّاج : «يقال سفعت بالشيء إذا أخذت عليه ، وجذبته جذباً شديداً» .

والمعنى : لنجرن بناصيته[٤] إلى النار[٥] .

وأنشد الأزهري[٦] :

قَوْمٌ إذَا أفزعوا الصَّرِيخَ رأيتهُمْ ... مِنْ بَيْنِ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعِ[٧]

أرادوا أخذ بناصيته[٨] .

---

(١) في (أ) : (لمعصريها) ، وفي (ع) : (لنعصرها) ، وأثبت ما جاء في مصدر القول .

(٢) معنى الهَصْر : الكسر ، وقد هَصَرَهُ واهْتصره بمعنى ، وهَصَرْتُ الغصن وبالغصن إذا أخذت برأسه فأملْتَه إليك . انظر : الصحاح (هصر) ٢/ ٨٥٥ . قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط (هصر) ٢/ ١٦١ : «الهَصْر : الجذب بالإمالة ، والكسر ، والدفع ، والإدناء ، وعطف شيء صُلب كالغصن ونحوه ، وكسره من غير بينونة» .

(٣) ورد مختصراً في معاني القرآن ٣/ ٢٧٩ .

(٤) الناصية : شعر مقدم الرأس . انظر : نزهة القلوب للسجستاني ٤٥٥ . قال الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٠٨ : «وقد يعبر بها من جملة الإنسان كما يقال : هذه ناصية مباركة إشارة إلى جميع الإنسان» .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٤٥ .

(٦) للشاعر حميد بن ثور الهلالي .

(٧) ورد البيت في ديوانه ١١١ ، طبعة الدار القومية برواية : (إذا سمعوا) ، وتهذيب اللغة (سفع) ٢/ ١٠٨ برواية : (فزعوا) ، ونسبه محققه إلى حميد بن ثور ، وورد غير منسوب في تاج العروس ٥/ ٣٨١ ، وفيه (إذا سمعوا) بدلاً من (فزع) ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٣ برواية : (إذا سمعوا الصياح) منسوباً إلى عمرو بن معدي كرب ، وروح المعاني ٣٠/ ١٨٦ برواية : (إذا أكثر الصياح) ، وتفسير ابن عباس للحميدي ٢/ ٩٨٣ .
معنى الصريخ : المستغيث ، وهو الناصر أيضاً . وملجم : اسم فاعل من ألجمت الفرس . وسافع : آخذ بناصية مهره ليلجمها . يقول : رأيتهم عند الصريخ هذه حالهم . انظر : حاشية ديوانه ١١١ .

(٨) تهذيب اللغة (سفع) ٢/ ١٠٨ .

قال ابن عباس : «لنقبضن بناصيته»[١] .

وقال[٢] مقاتل : «لنأخذن بالناصية أخذاً شديداً»[٣] .

وقال الحسن : «السفع الأخذ»[٤] . وهذا كقوله : ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن :٤١] . قال مقاتل : (ثم أخبر عنه أنه فاجر خاطئ ، فقال :

١٦. ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾)[٥] .

قال الكلبي : «كاذبة على الله مشركة»[٦] .

وقال أبو إسحاق : «ناصية بدل من الناصية ، المعنى : لنسفعاً بناصية[٧] كاذبة ، وتأويله : صاحبها كاذب خاطئ ، كما يقال : فلان نهاره صائم ، وليله قائم ، المعنى : هو صائم في نهاره ، قائم في ليله»[٨] .

قال ابن عباس : لمّا نهى أبو جهل رسول الله ﷺ (عن)[٩] الصلاة انتهره رسول الله ﷺ[١٠] ، فقال أبو جهل : أتنتهرني يا محمد ، فوالله لقد علمت ما بها رجل أكثر نادياً[١١] مني ، فأنزل الله قوله :

---

(١) ورد بمعناه في الدر المنثور ٨/ ٥٦٦ منسوباً إلى ابن المنذر ، برواية : (لنأخذن) .
(٢) في (أ) : (قال) .
(٣) تفسير مقاتل ٢٤٥ب .
(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .
(٥) ما بين القوسين من قول مقاتل . انظر : فتح القدير ٥/ ٤٧٠ .
(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .
(٧) في (أ) : (بناصيته) .
(٨) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٤٥ .
(٩) في (ع) : (من) .
(١٠) ساقط من (ع) .
(١١) في (أ) : (أدباً) .

١٧. ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾[١] ؛ أي أهل مجلسه ، قاله[٢] أبو عبيدة[٣][٤] وذكرنا تفسير النادي عند قوله : ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾ [العنكبوت :٢٩][٥] ،

---

(١) الرواية عن ابن عباس وردت في سنن الترمذي ٥/ ٤٤٤ ح ٢٣٤٩ ، وقال : «هذا حديث حسن غريب صحيح» ، والرواية كما هي عند الترمذي : عن ابن عباس قال : «كان النبي ﷺ يصلي ، فجاء أبو جهل فقال : ألم أنهك عن هذا ؟ ألم أنهك عن هذا ؟ فانصرف النبي ﷺ فزبره ، فقال أبو جهل : إنك لتعلم ما بها نادٍ أكثر مني ، فأنزل الله : ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ ، فقال ابن عباس : فوالله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله» . وقد أخرجه أيضاً الإمام أحمد في المسند ١/ ٢٥٦ ، ٣٢٩ . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب التفسير ، باب سورة اقرأ ٧/ ١٣٩ : «في الصحيح بعضه ، ورجال أحمد رجال الصحيح» . وأخرجه النسائي في تفسيره ٢/ ٥٣٥ ح ٧٠٤ ، وقال محققه : «إسناده حسن» ، والطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ١٣٧ ح ١٢٦٩٣ ، وقال محققه : «وهو صحيح ؛ ولكن من غير الطريق الذي ذكره عن ابن عباس» ، وورد في أسباب النزول للواحدي ٣٩٦ ، تحقيق أيمن صالح ، وقال محققه : «حسن صحيح» ، ونسبه إلى الترمذي . وقال محقق أسباب النزول عصام الحميدان ٤٦٠ : «وصحَّحه الهيثمي ، وهو كما قال» ، ولباب النقول ٢٣٢ ، والصحيح المسند ٢٣٦ ، وورد بمعناه في جامع البيان ٣٠/ ٢٥٩ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٨ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٩٤ ، والدر المنثور ٨/ ٥٦٤ منسوباً إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي ، وأبي نعيم . ونسبه الحافظ في الشافي ٤/ ١٨٦ إلى الحاكم ، والبزار ، وقال : «أصله في صحيح البخاري» . انظر دراسة إسناد هذه الرواية في : تفسير ابن عباس للحميدي ٢/ ٩٧٩ .

(٢) في (أ) : (قال) .

(٣) ورد في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٤ بنصه .

(٤) في (ع) : (ونجوماً) ، وهي زيادة في الكلام ، ووضعت في غير موضعها .

(٥) جاء في تفسيرها : المجلس ، ثم أُحيل إلى قوله تعالى : ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم :٧٣] ، وقد جاء في تفسيرها : وأحسن نديا : النَّدي فَعيل معنى الفاعل ، وهو المجلس ، وكذلك النادي ، يقال : ندوت القوم أندوهم ندواً إذا جمعتهم ، ويقال للموضع الذي يجتمعون فيه : النادي ، والنّديُّ لا يسمى نادياً حتى يكون فيه أهله ، وإذا تفرقوا لا يكون نادياً ، ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ ؛ لذلك سُمِّيت دار الندوة بمكة ، كانوا إذا حزبهم أمر نَدوا إليها ، فاجتمعوا للتشاور ، وأناديك وأجالسك من النادي . انظر : البسيط ٣/ ٢١١أ .

ونحو ما[١] قال أبو عبيدة[٢] قال المُبرِّد[٣] ، (والزَّجَّاج[٤])[٥] : «فليدع أهل مجلسه ، وكانوا عشيرته ؛ أي فليستنصر بهم»[٦] .

١٨. قوله تعالى : ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ . قال أبو عبيدة[٧] ، (والمُبرِّد[٨])[٩] : «واحد الزبانية : زبنية ، وهو الشديد الأخذ ، وأصله من زبِنْتُه ، إذا دفعته[١٠] ، وهو كل متمرد من إنس أو جن ، ومثله في المعنى والتقدير : عِفرية ، يقال (فلان)[١١] زِبْنية ، وعِفرية ، وجمعه عفارية» .

وقال الأخفش : «قال بعضهم : واحدها الزباني ، وقال بعضهم : الزابن ، وقال بعضهم : الزابنية ، والعرب لا تكاد تعرف هذا ، وتجعله من الجمع الذي لا واحد له مثل : أبابيل ، وعباديد»[١٢][١٣] .

---

(١) في (أ) : (هذا) .

(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٠ ، وقوله ورد عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم :٧٣] ؛ أي مجلساً ، والنَّديُّ والنادي ، والجميع منها أندية ، واستَشهد بأبيات من الشعر على ذلك .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٤٦ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) في (أ) : (فليستنصرهم) .

(٧) مجاز القرآن ٢/ ٣٠٤ .

(٨) ورد قوله في التفسير الكبير ٣٢/ ٢٥ .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١٠) في (ع) : (رفعته) .

(١١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١٢) في (أ) : (عبأبيد) .

(١٣) ورد في معاني القرآن ٢/ ٢٤١ باختصار يسير .

قال ابن عباس : «يريد الأعوان زبانية جهنم»[(١)] . ووالله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله[(٢)] .

وقال مقاتل : «خزنة جهنم أرجلهم في الأرض ، ورؤوسهم في السماء»[(٣)] .

وقال قتادة : «الزبانية الشُّرَط[(٤)][(٥)] في كلام العرب»[(٦)] .

وقال الزَّجَّاج : «هم الملائكة الغلاظ الشداد»[(٧)] .

---

(١) ورد قوله في معالم التنزيل ٤/ ٥٠٨ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٩٤ .

(٢) قال الواديعي : «وأخرج ابن جرير في جامع البيان ٣٠/ ٢٥٦ بسند صحيح عن ابن عباس نحوه ، وفيه : فأنزل الله : ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ إلى قوله : ﴿كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ ، فقال : لقد علم أني أكثر هذا الوادي نادياً ، فغضب النبي ﷺ فتكلم بشيء ، قال داود ـ يعني أحد رجال السند ـ ولم أحفظه» .

فأنزل الله : ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ ، فقال ابن عباس : «فوالله لو فعل لأخذته الملائكة من مكانه» . وورد قوله أيضاً في تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٨٤ ، وبحر العلوم ٣/ ٤٩٥ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٢٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٦٥ ، وجامع الأصول ٢/ ٤٣١ . قال الأرناؤوط : «وإسناده حسن» . وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب (٨٥) ٥/ ٤٤٣ ح ٣٣٤٨ ، وقال : «هذا حديث حسن صحيح غريب» . ووردت هذه العبارة عن النبي ﷺ من رواية ابن عباس في الجامع الصحيح للبخاري في كتاب التفسير ، باب (٤) ٣/ ٣٢٨ ح ٤٩٥٨ عن ابن عباس ، قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً يُصلي عند الكعبة لأطأن عنقه ، فبلغ النبي ﷺ فقال : «لو فعل لأخذته الملائكة» . انظر : مرجع رواية ابن عباس في ٨٨٩ ، الحاشية ٢ .

(٣) ورد في التفسير الكبير ٣٢/ ٢٥ ، وزاد المسير ٨/ ٢٨١ مختصراً .

(٤) في (أ) : (القرط) .

(٥) الشُّرَط : سموا بذلك لأن شُرْطة كل شيء خياره ، وهم نخبة السلطان من جُنده . انظر : تهذيب اللغة (شرط) ١١/ ٣٠٩ .

(٦) ورد في تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٨٤ ، وزاد المسير ٨/ ٢٨١ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٢٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٢٦ ، والدر المنثور ٨/ ٥٦٥ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن جرير ، ولم أجده عند ابن جرير .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٤٦ .

١٩. ثم قال: ﴿كَلَّا﴾[١]؛ أي ليس الأمر على ما عليه أبو جهل. ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ في ترك الصلاة.

﴿وَاسْجُدْ﴾. قال مقاتل: «وصلِّ لله، واقترب إليه بالطاعة»[٢].

وقال عطاء: «اقترب إليَّ، فإن العبد أقرب ما يكون من الله إذا هو سجد»[٣].

ونحو هذا قال مجاهد[٤].

وقال أبو إسحاق: «أي تقرَّب إلى ربك بطاعته»[٥].

* * *

(١) في (أ): (تطيعه).

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله، وقد ورد منسوباً إلى الجمهور في زاد المسير ٨/ ٢٨١.

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله، وقد ورد بمعناه من طريقه إلى أبي هريرة في صحيح مسلم في كتاب الصلاة، باب (٤٢) ١/ ٣٥٠ ح ٢١٥، والحديث عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء».

(٤) ورد في تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٨٥، وبحر العلوم ٣/ ٤٩٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٣، وتفسير سفيان بن عيينة المحايري ٣٤٧، والدر المنثور ٨/ ٥٦٦ منسوباً إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.

(٥) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٤٦ بنصه.